الفصل الأول

الأصولية اليهودية داخل المجتمع اليهودى

obeikandl.com

obeikandl.com

يعرف كل يهودى إسرائيلى متوسط الثقافة، الحقائق الواردة بهذا الكتاب عن المجتمع اليهودى الإسرائيلى. ومع ذلك، فإن هذه الحقائق غير معروفة لمعظم اليهود وغير اليهود خارج إسرائيل الذين لا يعرفون العبرية، وبذلك لا يستطيعون قراءة ما يكتبه اليهود الإسرائيليون عن أنفسهم بالعبرية. وهذه الحقائق نادرًا ما تذكر أو توصف بدقة فى التغطية الإعلامية الهائلة لإسرائيل فى الولايات المتحدة وفى أماكن أخرى. والهدف الأساسى من هذا الكتاب هو تمكين أولئك الأشخاص الذين لا يقرأون العبرية من المزيد من فهم أحد الجوانب المهمة للمجتمع اليهودى الإسرائيلى.

ويشير هذا الكتاب إلى الأهمية السياسية للأصولية اليهودية فى إسرائيل، تلك الدولة التى تمارس نفوذًا عظيمًا فى الولايات المتحدة. **والأصولية اليهودية تعرف هنا على نحو موجز على أنها الإيمان بأن الأرثوذكسية اليهودية، القائمة على التلمود البابلى وبقية الكتابات التلمودية ومجمل الشريعة اليهودية (الهالاخاه)، ما زالت صالحة وسوف تظل كذلك أبدًا. ويؤمن الأصوليون اليهود بأن مرجعية الكتاب المقدس نفسه ترجع للتفسير الصحيح له فى التلمود. ولا توجد الأصولية اليهودية**

فى إسرائيل فقط، ولكن فى كل بلد به مجتمع يهودى كبير العدد. وفى بلاد أخرى غير إسرائيل، حيث يشكل اليهود أقلية صغيرة بالنسبة لمجمل السكان، فإن الأهمية العامة للأصولية اليهودية تكون مقتصرة بشكل رئيسى على حشد الدعم المالى والسياسى للأصوليين فى إسرائيل. أما أهميتها فى إسرائيل فإنها أكبر إلى حد بعيد؛ لأن معتنقيها يؤثرون فى الدولة بطرق عديدة. وتنوع الأصولية اليهودية فى إسرائيل يثير الدهشة؛ فالكثير من الأصوليين، على سبيل المثال، يرغبون فى إعادة بناء المعبد على «جبل المعبد» فى القدس أو يريدون على الأقل الحفاظ على موقعه، الذى هو الآن مصلى للمسلمين، خاليًا من الزائرين. وفى الولايات المتحدة لا يوافق معظم المسيحيين على ذلك، ولكن عددًا كبيرًا من اليهود الإسرائيليين داخل إسرائيل، والذين لا يعتبرون من الأصوليين يتفقون مع الأصوليين اليهود على ذلك، ويؤيدون هذا المطلب، ومطالب مشابهة. وبعض أنواع الأصولية اليهودية تمثل خطرًا يفوق الأنواع الأخرى إلى حد كبير. والأصولية اليهودية ليست قادرة على التأثير فقط فى السياسات الإسرائيلية التقليدية ولكنها قادرة أيضًا على التأثير على السياسات الإسرائيلية النووية. ونفس عواقب الأصولية التى يخشاها الكثير من الأشخاص فى بلدان أخرى يمكن أن تحدث فى إسرائيل.

إن أهمية الأصولية فى إسرائيل يمكن فهمها فقط فى سياق المجتمع اليهودى الإسرائيلى وكجزء من إسهام الديانة اليهودية فى الانقسامات الداخلية للمجتمع. وتناولنا لهذا الموضوع الواسع يبدأ بالتركيز على

الوسائل التى من خلالها يقوم المراقبون المطلعون بتقسيم المجتمع اليهودى الإسرائيلى سياسيًا ودينيًا. وبعد ذلك سوف نمضى قدمًا فى شرح أسباب تأثير الأصولية اليهودية بدرجات متفاوتة على اليهود الإسرائيليين الآخرين، مما يسمح لليهود الأصوليين بالحصول على قوة سياسية، فى إسرائيل أكبر من حجمهم الحقيقى من حيث العدد.

إن التقسيم الثنائى المعتاد للمجتمع اليهودى الإسرائيلى يعتمد بشكل جوهرى على إدراك أن اليهود الإسرائيليين يتميزون بدرجة عالية من الأيديولوچية، ويتضح ذلك إلى حد بعيد من خلال نسبة التصويت المرتفعة، والتى تزيد عادة على ٨٠٪، وفى انتخابات مايو ١٩٩٦م، شارك فى التصويت ما يزيد على ٩٥٪ من اليهود العلمانيين الأفضل تعليمًا والأكثر ثراء واليهود المتدينين من كل فئات التعليم والدخل، وبعد استبعاد العدد الكبير من اليهود الإسرائيليين الذين يقيمون خارج إسرائيل (ما يزيد على ٤٠٠٠٠٠ فرد)، والذين لم يصوت معظمهم، يمكن القول دون أدنى شك إن كل من له حق التصويت فى القطاعين اللذين يمثلان المجتمع اليهودى الإسرائيلى، أدلى بصوته فى الانتخابات. **إن معظم المراقبين السياسيين الإسرائيليين يفترضون الآن أن اليهود الإسرائيليين ينقسمون إلى فئتين: إسرائيل (أ) وإسرائيل (ب). ويشار إلى إسرائيل (أ) غالبًا بـ «اليسار» الذى يمثله سياسيًا حزبا العمل وميرتس، وإلى إسرائيل (ب) بـ «اليمين» أو «اليمين والأحزاب الدينية» ويتكون من كل الأحزاب اليهودية الأخرى. وكل إسرائيل (أ) تقريبًا والغالبية العظمى**

من إسرائيل (ب) فيما عدا بعض اليهود الأصوليين، تعتنق الأيديولوچية الصهيونية بقوة، والتى تتلخص فى أن كل أو على الأقل الغالبية العظمى من اليهود يجب أن يهاجروا إلى فلسطين باعتبارها أرض إسرائيل، والتى تنتمى إلى كل اليهود، ويجب أن تكون دولة يهودية. ومع ذلك فهناك عداء متزايد بين هذين القطاعين من المجتمع الإسرائيلى. وأسباب هذا العداء عديدة، والسبب المرتبط بهذه الدراسة هو أن إسرائيل (ب)، متضمنة أعضاءها العلمانيين، تتعاطف مع الأصولية اليهودية بينما إسرائيل (أ) ليست كذلك.

ويتضح من دراسة نتائج الانتخابات على مدى فترة زمنية طويلة أن إسرائيل (ب) تحصل بشكل مستمر على تفوق عددى على إسرائيل (أ). وهذا يدل على أن عدد اليهود المتأثرين بالأصولية اليهودية فى ازدياد مستمر.

وفى مقاله المسمى «الدين والقومية والديموقراطية فى إسرائيل» الذى نشر فى العدد الصادر فى خريف ١٩٩٤م من مطبوعة «زائمنيم» (رقم ٥٠ ـ ٥١)، قدم البروفيسور باروخ كيمرلنج، عضو هيئة التدريس بقسم الاجتماع بالجامعة العبرية، بيانات خاصة بالتصنيف الدينى للمجتمع اليهودى الإسرائيلى، ومن خلال الاستشهاد بالعديد من الدراسات البحثية، بيّن كيمرلنج بشكل قاطع أن المجتمع اليهودى الإسرائيلى منقسم حول القضايا الدينية بدرجة أكبر مما يعتقد عادة إلى حد بعيد خارج إسرائيل، حيث تسود مفاهيم وجود أشياء «مشتركة بين كل اليهود».

ومن خلال الاستعانة بالبيانات الواردة فى إحدى دراسات استطلاع الرأى، والتى قام بها معهد «جوتمان» الذائع الصيت والتابع للجامعة العبرية فى القدس، يشير كيمرلنج إلى أنه بينما أفاد ١٩٪ من اليهود الإسرائيليين بأنهم يصلون يوميًا، أعلن ١٩٪ آخرون بأنهم لم يدخلوا المعبد تحت أى ظرف من الظروف.

ومن خلال تأثرهم بتحليل معهد جوتمان ودراسات مشابهة، توصل كيمرلنج وباحثون آخرون إلى أن إسرائيل (أ) وإسرائيل (ب) تحتوى على أشخاص يعتنقون وجهات نظر معارضة تمامًا للديانة اليهودية، وهذا صحيح بالتأكيد.

على نحو أكثر عمومية، يمكن تقسيم الموقف من الدين فى المجتمع اليهودى الإسرائيلى إلى ثلاثة أقسام، اليهود المتدينون الذين يلتزمون بتعاليم الدين اليهودى، كما يحددها الحاخامات الأرثوذكس، والكثير منهم يركزون على الشعائر أكثر من تركيزهم على جوهر الإيمان، (عدد اليهود الإصلاحيين والمحافظين صغير فى إسرائيل) ويقوم اليهود التقليديون بالحفاظ على بعض التعاليم المهمة للديانة اليهودية، بينما يقومون فى نفس الوقت بانتهاك التعاليم غير الملائمة من وجهة نظرهم ويقدسون الحاخامات والدين. وربما يقوم العلمانيون فى بعض الأحيان بدخول المعابد، ولكنهم لا يكنون أى احترام للحاخامات أو للمؤسسات الدينية، والخط الفاصل بين اليهود التقليديين واليهود العلمانيين فى الغالب يفتقد الوضوح، ولكن تشير الدراسات إلى أن ٢٥ إلى ٣٠٪ من

اليهود الإسرائيليين هم من العلمانيين، و٥٠ إلى ٥٥٪ من التقليديين وحوالى ٢٠٪ متدينين، وينتمى اليهود التقليديون على نحو واضح إلى كل من إسرائيل (أ) وإسرائيل (ب).

وينقسم اليهود الإسرائيليون المتدينون إلى مجموعتين مختلفتين. ويسمى أعضاء الجماعة الأكثر تطرفًا «أو تشددًا» منهما «الحريديم» (وهى جمع لكلمة «حريدى» بمعنى الذى يخشى الله أو المتقى). أما أعضاء الجماعة الأكثر اعتدالاً فيطلق عليهم «اليهود المتدينون القوميون».

ويطلق أحيانًا على اليهود المتدينين القوميين «ذوو الطواقى المشغولة» نسبة إلى ما يضعونه فوق رءوسهم. أما الحريديم فإنهم يرتدون عادة أغطية رأس سوداء ولكنها لا تكون مشغولة أبدًا، أو يرتدون قبعات سوداء. ويرتدى اليهود المتدينون القوميون عادة الملابس العادية التى يرتديها بقية أفراد الشعب الإسرائيلى، بينما يرتدى الحريديم دائمًا الملابس السوداء.

وينقسم الحريديم فى حد ذاتهم إلى حزبين: الأول، يسمى ياهدوت هاتوراه «أى يهودية التوراه» وهو حزب الحريديم الإشكناز القادمين من أوروبا الشرقية (الإشكناز عمومًا هم اليهود من أصل غربى)، وحزب ياهدوت هاتوراه عبارة عن ائتلاف من جماعتين.

الحزب الثانى للحريديم هو حزب شاس، وهو حزب الحريديم الشرقيين الذين يعود أصلهم إلى الشرق الأوسط.

واليهود المتدينون القوميون منتظمون فيما يسمى بالحزب الدينى القومى (NRP). ومن خلال تحليل التصويت الانتخابى لعام ١٩٩٦م وإجراء بعض التعديلات الضرورية، نستطيع أن نقدر النسب المئوية لشعبية هاتين المجموعتين من اليهود المتدينين.

ففى انتخابات ١٩٩٦م حصل الحزبان المنتميان للحريديم معًا على ١٤ مقعدًا من إجمالى عدد مقاعد الكنيست البالغة ١٢٠ مقعد، فحصل شاس على عشرة مقاعد وياهدوت هاتوراه على أربعة مقاعد. أما الحزب الدينى القومى ففاز بتسعة مقاعد، وأقر بعض اليهود الإسرائيليين بأنهم صوتوا لصالح شاس؛ لأن التمائم والتعويذات التى وزعها الحزب تكون صالحة فقط بعد التصويت «الصحيح».

علاوة على ذلك فإن بعض أعضاء الحزب الدينى القومى وأنصارهم اعترفوا بأنهم صوتوا لصالح أحزاب علمانية يمينية. وعلى كل حال، فإن الحريديم يشكلون غالبًا ١١٪ من عدد سكان إسرائيل و ٤, ١٣٪ من اليهود الإسرائيليين، وأنصار الحزب الدينى القومى يمثلون حوالى ٩٪ من عدد السكان و ١١٪ من اليهود الإسرائيليين.

والمعتقدات الأساسية للمجموعتين من اليهود المتدينين تحتاج إلى بعض التفسير التمهيدى. فكلمة «حريدى» هى كلمة عبرية شائعة تعنى «خائف من الله، أو متقى الله» وخلال التاريخ اليهودى المبكر، كانت تعنى «خشية الله» أو تجاوزا «التقى»، أما فى منتصف القرن التاسع عشر، فقد استخدامها أولاً فى ألمانيا والمجر، وبعد ذلك فى أجزاء أخرى من

الشتات، كاسم لحزب اليهود المتدينين الذين يعارضون أى اختراع حديث. وظهر الحريديم الإشكناز كمجموعة رجعية تعارض التنوير اليهودى عمومًا، وتعارض بشكل خاص أولئك اليهود الذين يرفضون الخضوع لسلطة الحاخامات والذين أدخلوا البدع فى العبادة اليهودية ونمط الحياة اليهودى. ومن خلال رؤيتهم لقبول كل اليهود تقريبًا لهذه البدع، كان رد فعل الحريديم أكثر تطرفًا وحرموا أى ابتكار «أو بدعة». ويصر الحريديم حتى اليوم على الالتزام الصارم بالهالاخاه (الشريعة اليهودية) ومن الأمثلة الدالة على معارضتهم لأى ابتكار إصرارهم على ارتداء الزى الأسود الذى أشرنا إليه آنفا، والذى كان يرتديه يهود شرق أوروبا حينما شكل الحريديم الحزب الخاص بهم.

وقبل ذلك الوقت كان اليهود يرتدون مختلف الأزياء، وكانوا فى الغالب لا يختلفون فى ملابسهم عن جيرانهم. وبعد فترة وجيزة، كان كل اليهود تقريبًا فيما عدا الحريديم يرتدون ملابس مختلفة. علاوة على ذلك، لم تلزم الشريعة اليهودية (الهالاخاه) اليهود بأن يرتدوا ملابس سوداء، ولا بأن يرتدوا معاطف سوداء ثقيلة وقبعات مبطنة بالفرو فى الصيف الحار ولا فى أى وقت آخر، ومع ذلك فإن الحريديم فى إسرائيل يواصلون فعل ذلك، من أجل الاعتراض على البدع، ويصرون على استعمال الزى الذى كان يتم ارتداؤه فى أوروبا فى حوالى عام ١٨٥٠م، وكل الاعتبارات الأخرى بما فيها اعتبارات الطقس، باطلة.

وعلى النقيض من الحريديم، قام اليهود المتدينون القوميون بالحزب

الدينى القومى بالتصالح مع المعاصرة فى بداية العشرينيات، حينما ظهر الانشقاق بين التجمعين الكبيرين من اليهود المتدينين للمرة الأولى فى فلسطين، وهذا يمكن أن يلاحظ بشكل واضح فى ملابسهم التقليدية باستثناء غطاء الرأس الصغير (القلنسوة)، والأمر الأكثر أهمية يتمثل فى تعاملهم الانتقائى مع الشريعة اليهودية (هالاخاه)، فهم يرفضون، على سبيل المثال، الكثير من التعاليم الخاصة بالمرأة، ولا يتردد أعضاء الحزب الدينى القومى فى قبول النساء بمواقع السلطة فى كثير من تنظيماتهم، وفى الحزب نفسه. وقبل انتخابات ١٩٩٢ و١٩٩٦م قام الحزب الدينى القومى بنشر وتوزيع إعلان يحتوى على صور فوتوغرافية لمختلف الشخصيات العامة تحتوى على بعض النساء اللائى يؤيدن الحزب، كما ظهرت النساء فى الدعاية التليفزيونية بدرجة أكثر كثافة.

أما الحريديم فإنهم لم ولن يفعلوا، فحتى عندما قرر الحريديم، الذين يحرّمون مشاهدة التليفزيون على أنفسهم، أن يقدموا بعض البرامج الانتخابية التليفزيونية الموجهة لليهود الآخرين، أصروا على أن يكون كل المشاركين فيها من الذكور، وأثناء الحملة الانتخابية لعام ١٩٩٢م، قام محررو إحدى المطبوعات الحريدية الأسبوعية باستشارة الرقيب الحاخامى بشأن نشر أو عدم نشر إعلان الحزب الدينى القومى المشار إليه آنفًا. وأمر الرقيب الحاخامى الصحيفة بأن تنشر الإعلان، ولكن مع منع كل صور النساء. واستشاط الحزب غضبًا وقام بمقاضاة الصحيفة، وطالب بالتعويض أمام محاكم إسرائيلية علمانية متجاهلاً تعليمات الحاخامات

الحريديين بعدم استخدام المحاكم العلمانية لتسوية النزاعات بين اليهود.

إن التصالح اليهودى الدينى القومى مع الاتجاه المعاصر فيما يتعلق بالنساء هو أمر بالغ التعقيد من نواح عديدة، فالشريعة اليهودية تحرم على اليهود الذكور الاستماع إلى غناء المرأة سواء فى مجموعة أو على نحو منفرد بصرف النظر عما تغنيه. وهذا منصوص عليه بشكل مباشر فى تعاليم الهالاخاه التى تقول: إن صوت المرأة عورة.

وتم تفسير ذلك لاحقًا من خلال تعاليم الحاخامات على أن كلمة «صوت» تعنى غناء وليس حديث المرأة، وهذا الأمر الذى جاء فى التلمود، يتكرر فى كل نصوص الشريعة اليهودية، فاليهودى الذى يستمع عمدًا إلى غناء امرأة يرتكب إثمًا يعادل الزنى أو الفسوق. والغالبية العظمى من أعضاء الحزب الدينى القومى الملتزمين، يستمعون إلى غناء المرأة، وبذلك فهم يرتكبون «الزنى» بشكل روتينى. وبعض أعضاء الحزب الدينى القومى الأكثر تشددًا، وخاصة ضمن مستوطنى الضفة الغربية، لم يفكروا مليًا فى هذه المشكلة فقط، ولكنهم أيضًا حاولوا حل مشكلة التكيف من خلال استنباط حلول مبتكرة. ففى أوائل التسعينيات، قام بعض المستوطنين بإنشاء محطة إذاعية جديدة، وهى عروتس ٧، أو القناة ٧. ولكى تكون المحطة ناجحة وتجذب أكبر عدد من اليهود الإسرائيليين، أدرك المستوطنون أن أغانى المغنين الذائعى الصيت، وبعضهم من النساء، يجب أن يتم بثها، ومع ذلك رفض الرقيب الحاخامى السماح بخرق الشريعة حتى يستمع الذكور لغناء الإناث،

وبذلك يرتكبون جريمة «الزنى». وبعد الكثير من المشاورات مع الرقيب، اقترح المستوطنون حلاً حظى بالقبول وما زال يستخدم حتى اليوم، فيقوم الرجال بغناء الأغانى الشهيرة للمطربات وبعد ذلك يتم تحويل الأصوات إلكترونيّا إلى الطبقات الصوتية النسائية، ويتم بثها عبر القناة ٧. وهناك جانب من الجمهور التقليدى يشعر بالرضا عن هذا الحل النفعى، أما الحاخامات المثقفون بالحزب الدينى القومى فيصرون على أن استماع الرجال إلى غناء النساء لا غبار عليه.

وقام الحريديم برفض وإدانة هذا التكيف، وحتى اليوم يرفضون الاستماع إلى القناة ٧. والأمر الأكثر أهمية، أن الحريديم بعد زيادة قوتهم السياسية إلى حد ما فى انتخابات ١٩٨٨م، كانوا قادرين على فرض موقفهم فى هذا الشأن على الدولة ككل من خلال فرض التغيير على الجلسة الافتتاحية بالكنيست. **وكانت مراسم الافتتاح فى السابق تبدأ بغناء نشيد إسرائيل القومى «الهاتيكفاه»، من خلال مجموعة من الرجال والنساء. وبعد انتخابات ١٩٨٨م، ونزولاً على رغبة الحريديم، قام مغن رجل بالغناء بدلاً من المجموعة المشتركة، وبعد انتخابات ١٩٩٢م، التى فاز فيها حزب العمل، قامت مجموعة من رجال الدين العسكريين بغناء النشيد.**

كيف يمكن للحريديم، الذين يشكلون مجرد نسبة صغيرة من المجتمع اليهودى الإسرائيلى، سواء وحدهم أو بمساعدة الحزب الدينى القومى، أن يفرضوا مشيئتهم على بقية المجتمع؟ الإجابة البسيطة تتمثل فى أن كلاً

من حزبى العمل والليكود يتملق الحريديم للحصول على مساندتهم السياسية، وهذا التفسير غير كاف، فهذا التملق قد استمر فيما بين ١٩٨٤، ١٩٩٠م أثناء الوقت الذى كان فيه العمل والليكود يشكلان ائتلافًا، وكانت مداهنة الحريديم من أجل ضمان انحيازهم ليست لها ضرورة سياسية.

والنموذج البسيط نسبيًا للحزب الدينى القومى يعبر عن ذلك بشكل جيد، فالحزب الدينى القومى يعترف - على الرغم من عدم اتباعه لذلك دائمًا - بنفس سلطات الهالاخاه كما تفعل الأحزاب الحريدية، والحزب الدينى القومى يعتنق دائمًا نفس الأفكار المتصلة بالماضى اليهودى، وعلى نحو أكثر أهمية، تلك المتصلة بالمستقبل حينما تنتصر إسرائيل على أعدائها من غير اليهود.

والفروق بين الحزب الدينى القومى والحريديم تنبع من إيمان الحزب بأن الخلاص قد بدأ وسرعان ما يكتمل من خلال الهبوط الوشيك للمسيح. أما الحريديم فإنهم لا يشاركون الحزب هذا الاعتقاد، ويؤمن الحزب الدينى القومى بأن هناك ظروفًا خاصة عند بداية الخلاص تبرر التخلى مؤقتًا عن المبدأ مما يساعد على التعجيل بعملية الخلاص، وتأييد الحزب فى بعض المناسبات للخدمة العسكرية لمعلمى التلمود هو مثال لذلك، وهذه الأفكار المنحرفة للحزب قد تعرضت للتقويض منذ السبعينيات من خلال اتساع تأثير النفوذ الحريدى على أعداد متزايدة من مؤيدى الحزب الدينى القومى الذين عارضوا الخروج على تعاليم التلمود

الصارمة وفضلوا المواقف الحريدية، وهذه العملية قد توازنت إلى حد ما مع تصاعد مكانة مستوطنى الحزب الدينى القومى الذين ينظر إليهم كرواد للفكر المسيانى «المتمثل فى الخلاص وهبوط المسيح»، حتى على الرغم من أن اغتيال رابين، رئيس الوزراء الراحل، على يد مسيانى ربما يكون قد أدى إلى تقوية مكانة الحريديم على نحو موقت.

إن النفوذ الدينى المؤثر على الجناح اليمينى الإسرائيلى لإسرائيل (ب) يعزى إلى طبيعته العسكرية ونظرتهما المشتركة نحو العالم. فاليهود الإسرائيليون اليمينيون العلمانيون المشبعون بروح القتال يعتنقون وجهات نظر سياسية ويتحدثون بلغة مشابهة لتلك الخاصة باليهود المتدينين.

وبالنسبة لمعظم أتباع الليكود، فإن «الدم اليهودى» هو السبب فى أن اليهود يحتلون منزلة سامية عن غير اليهود، بمن فيهم بالطبع المواطنون الإسرائيليون غير اليهود، والذين يخدمون فى الجيش الإسرائيلى.

وبالنسبة لليهود المتدينين، فإن دم غير اليهود ليس له قيمة جوهرية، وبالنسبة لليكود،فإن له قيمة محدودة، واستخدام مناحم بيجن البارع لتلك اللغة التى تتحدث عن الأغيار جلب له الأصوات والشعبية، وهذا هو مربط الفرس. فالفرق بين العمل والليكود يتمثل فى اللغة، ولكنه فرق مهم لأنه يكشف عن جانب من نظرتهما إلى العالم. ففى عام ١٩٨٢م على سبيل المثال، حينما قام الجيش الإسرائيلى باحتلال بيروت، لم يستطع رابين الذى يمثل حزب العمل، على الرغم من دفاعه عن نفس السياسات التى يحبذها شارون والليكود، أن يقدم أى تفسير لمذابح صبرا

وشاتيلا من خلال القول، كما فعل بيجن: «إن الأغيار يقتلون الأغيار ويلقون باللوم على اليهود» وحتى إذا كان رابين نفسه قادراً على قول ذلك، فإنه كان يعلم أن معظم مؤيديه العلمانيين فى حزب العمل، الذين يميزون بين الأغيار الذين يكرهون اليهود وأولئك الذين لا يفعلون، لن يغفروا له تلك العبارة، فهم يرفضون تلك اللغة باعتبارها غير صحيحة وضارة.

ويتضح التأثير من خلال تعلق اليمين بأهداب الماضى اليهودى وإصراره على أن اليهود لديهم حق تاريخى فى توسيع أراضى إسرائيل إلى ما وراء الحدود الحالية. وعلى نحو أكثر من الإسرائيليين العلمانيين الآخرين، يصر أعضاء اليمين الإسرائيلى على التفرد اليهودى.

وخلال قرون عديدة من وجودهم، كانت الغالبية العظمى من اليهود تشبه على نحو ما حريديم اليوم. وعلى ذلك، فإن أولئك اليهود الذين ينفخون الروح فى الماضى اليهودى كدليل على التفرد اليهودى يحترمون إلى حد ما اليهود المتدينين باعتبارهم حملة شعلة ذلك الماضى. **والجانب الأساسى لتأكيد اليمين على التفرد يتمثل فى بغضه لمفهوم (المساواة)، بمعنى تساوى اليهود مع الشعوب الأخرى ورغبتهم فى الاستقرار، مثل الأمم الأخرى.** وبعض الصلات الثقافية بين اليهود العلمانيين والمتدينين باليمين الإسرائيلى ليست أيديولوجية فى جوهرها. والكثير من مؤيدى الليكود، سواء كانوا من أصل سفاردى «شرقى» أوإشكنازى «غربى»، هم من التقليديين الذين ينظرون إلى الحاخامات على أنهم شخصيات

تحيط بهم هالة من السحر والقداسة، والمتأثرين بذكريات الطفولة الخاصة بالعائلة الأبوية، حيث يتولى الجد مسئولية التعليم، أما النساء «فيعرفن حدودهن» وعلى الرغم من أن هذه الاعتبارات أكثر تجسداً فى الطليعة المتدينة، فإنها تؤثر أيضًا على يهود اليمين العلمانيين. ويقوم اليمين غالبًا بالمبالغة فى مجد وتفوق الماضى اليهودى، وخاصة حينما يطالب بالحفاظ على التفرد اليهودى.

ويشترك أعضاء اليمين المتدينون والعلمانيون فى المخاوف، كما، يشتركون فى المعتقدات. ففى يوم ٦ أكتوبر ١٩٩٣م، فى مقال نشر بصحيفة هاآرتس، أشهر الصحف العبرية الناطقة بالعبرية فى إسرائيل، يعبر دورون روزنبلوم، من خلال الاعتماد على مصادر متنوعة، عن ذلك بواسطة الاستشهاد بتصريحات زعماء الليكود التى تمت صياغتها لكى تبيّن للإسرائيليين مدى أخطار وتهديدات عملية السلام، وفى نفس الوقت الاستمرار فى التذكير بأن الليكود هو من بدأ العملية.

وقام روزنبلوم بالاستشهاد بالعبارة الآتية لعضو الكنيست الإسرائيلى عوزى لانداو، الذى تم تعيينه بعد انتخابات ١٩٩٦م رئيساً للجنة الدفاع والشئون الخارجية بالكنيست:

«إذا تم اتباع سياسات رابين تجاه سوريا، فذات صباح سوف يستيقظ اليهود الإسرائيليون على صوت هدير الدبابات السورية وهى تتهادى من مرتفعات الجولان مثل قطعان الأغنام.. وعندئذ تهاجم مستوطنات الجليل بقوة نيران أقوى من تلك التى استخدمت فى حرب ١٩٧٣م، وبما

أن فكرة استئصال شأفة الإسرائيليين لا تزال فى بؤرة اهتمام السوريين، فإن لحظة أى انسحاب إسرائيلى من مرتفعات الجولان هى نفس لحظة اقتراب السكين السورى من رقبة كل مواطن فى الجليل. . فالسياسة السورية يحكمها قانون ثابت لا يخضع للتغيرات السريعة».

ومن الواضح أن وسائل الإعلام الغربية التى تكيل بمكيالين، والتى من المؤكد أنها كان يمكن أن تفتك بأى مسئول غير يهودى يصف السياسة الإسرائيلية بأنها يحكمها قانون ثابت وغير خاضعة للتغيرات السريعة، تجنبت التعليق على عبارة لانداو.

كما قام روزنبلوم أيضًا بالاستشهاد بعبارة عضو الكنيست الإسرائيلى بن بيجن، وأحد كبار قادة حزب الليكود، حينما أعرب عن تخوفه من أن تقوم سوريا بهجوم مباشر على إسرائيل. وهذا التخوف يعبر عنه بشكل شائع بين أعضاء معظم الأحزاب السياسية الإسرائيلية.

ومع ذلك فإن ما يميز إسرائيل (ب) هو، كما أعلن بن بيجن، الاعتقاد بأن أهداف الغزو هى نفس «أهداف سفاحى الكيشينيف فى قطع رقاب اليهود»(*). وأضاف بيجن أنه فى هذه المرة سوف يقوم علماء الذرة بالمساعدة فى تنفيذ المشروع السورى.

ومقارنة المجتمع اليهودى غير المسلح، الذى كان يمثل أقلية صغيرة فى الإمبراطورية الروسية، بإسرائيل وجيشها، تمثل موقفًا مشتركًا يتعلق

(*) مذابح يقال إنها ارتكبت ضد اليهود فى فترات التوتر فى روسيا القيصرية.

بالماضى اليهودى من خلال الأحزاب الإسرائيلية اليمينية العلمانية واليهود المتدينين. وهذا الموقف لا يضع فى اعتباره أى تطور تاريخى. فاليهود تحت أى ظرف من الظروف هم دائمًا ضحايا حاليون أو مستقبلون للأغيار.

واعتبر روزنبلوم الذى ينتمى لإسرائيل (أ) كل هذه الأشياء متنافرة مع بعضها البعض، ومن خلال النظر إلى ما أسماه لانداو بقطيع الأغنام السورى، تساءل: «هل يقصد لانداو بذلك أننا ذئاب؟» ويقدم روزنبلوم تحليله عن السبب فى عدم قدرة هذه الصورة على الإقناع:

«هناك الكثير من الشكوك العميقة الجذور التى تقول إن أعضاء المعسكرات القومية «وهم اليمين العلمانى» يستخدمون لغة القوة من أجل إخفاء خوفهم الكامن من العالم بأسره، وهذا الخوف لم يتبدد ولو قليلاً مع إنشاء دولة إسرائيل. ورغم كل أخطائه ينجح حزب العمل أيّا كانت الوسائل فى أن ينحى جانبًا تلك المخاوف وأن يستبدلها بنظرة بناءة وبراجماتية نحو العالم. أما الليكود، الذى استأنف هوايته التاريخية فإنه لم يفعل ذلك.

وهؤلاء اليهود المغالون فى الوطنية الذين يتحدثون بثقة مطلقة عن قوة وقدرة إسرائيل لفرض مشيئتها على الشرق الأوسط هم الأكثر عرضة لتلك المخاوف.

ونفس هؤلاء الأشخاص الذين يتوقعون قدوم هولوكوست أخرى فور أن تقوم إسرائيل بتقديم أية تنازلات للعرب كانوا يرددون دائمًا أن

الجيش الإسرائيلى إذا لم يقيد بواسطة السياسيين أو الأمريكيين أو اليهود اليساريين فإنه يستطيع أن يجتاح بغداد فى غضون أسبوع واحد. وقام آرييل شارون بالفعل بإعلان هذا التصريح قبل أسابيع قليلة من حرب أكتوبر ١٩٧٣م.

إن الخوف والثقة بالنفس يتعايشان على نحو متناغم، والإيمان بالتفرد اليهودى يعزز هذا التعايش، ولا يدرك معظم المراقبين الأجانب أن قطاعًا ضخمًا من الجمهور اليهودى الإسرائيلى يؤمن بهذه الآراء المسرفة فى الوطنية. إن خليط الشيزوفرينيا المكون من المخاوف الجامحة والثقة المفرطة بالنفس الموجود بوفرة لدى اليمين الإسرائيلى العلمانى واليهود المتدينين، يشبه الأفكار التى يعتنقها المعادون للسامية الذين ينظرون إلى اليهود نفس النظرة التى كانوا ينظرون بها إليهم عندما كانوا أقوياء ومن السهل هزيمتهم، وهذا أحد أسباب أن المواقف التى يقفها أفراد اليمين الإسرائيلى من الأغيار، وخاصة العرب، تشبه إلى حد بعيد مواقف المعادين للسامية من اليهود.

كما يتقاسم اليمين العلمانى واليهود المتدينون مخاوف أخرى. فهم يخافون الغرب ورأيه العام. كما أنهم يخافون ويدينون اليساريين اليهود، وهذا المصطلح يتسع ليشمل معظم أتباع العمل، لتفضيلهم العرب على اليهود ولأنهم يعيشون فى الأوهام، كما أنهم ينظرون إلى أصحاب اليسار باعتبارهم خطرين؛ بسبب قدرتهم على جذب أنصار جدد وخاصة من صفوف الصفوة المثقفة.

إن موضوع المساواة «أى مساواة اليهود مع غير اليهود» هو أبرز الموضوعات التى تفصل بين اليمين واليسار، فاليسار يتوق إلى المساواة ويرغب فى أن يكون اليهود أمة مثل بقية الأمم. أما اليمين الإسرائيلى على الجانب الآخر فإنهم متحدون فى استيائهم من فكرة المساواة، ويؤمنون بأن اليهود مختلفون عن الأمم والشعوب الأخرى. كما أن تبجيل الماضى اليهودى يعزز هذا التفرد. ويؤمن اليهود المتدينون بأن الله خلق اليهود متفردين، أما اليمين العلمانى فيؤمن بأن اليهود كتب عليهم هذا التفرد من خلال ماضيهم، وليس لديهم أى خيار فى ذلك.

وهناك سبب آخر ولكنه أقل أهمية للصلة الموجودة بين اليمين العلمانى واليهود المتدينين، وهو أن هؤلاء قادرون على تقديم حجج «مقنعة» لوجوب السيطرة اليهودية الأبدية على أرض إسرائيل وإنكار حقوق أساسية للفلسطينيين. **وهذه الحجج لا توضع فقط فى إطار الأمن القومى، ولكن من خلال الحق الذى يمنحه الله لليهود لامتلاك هذه الأراضى.**

إن الباحثين والسياسيين العلمانيين المنتمين لليكود غالبًا ما يكونون أبعد ما يمكن عن الماضى اليهودى والقيم اليهودية لكى يتحدثوا أو حتى يفهموا تلك الأمور على نحو مناسب، فالمتدينون فقط هم من يستطيعون تقديم منطق راسخ لسياسات الليكود، التى تعتمد ليس فقط على الاعتبارات الاستراتيجية القصيرة الأمد، **ولكنها تعتمد على التاريخ الطويل للعلاقة الخاصة بين الله وشعبه المختار.**

وعلى الرغم من تواجدها على نحو مكثف بين أعضاء إسرائيل (ب) فإن نفس هذه الآراء يمكن تبنيها بين أعضاء إسرائيل (أ). وهذه الحقيقة تقدم تفسيرًا للتنازلات السياسية التى تقدم للأحزاب الدينية. «كثيرًا ما يقوم المراقبون الأجانب بإرجاع هذه التنازلات فقط إلى حجم وتكتل الأحزاب الدينية». وهذه الآراء قد أثرت أيضًا على التاريخ والتعليم اليهودى. ومنذ أواخر الخمسينيات وخاصة بعد حرب ١٩٦٧م - والمؤرخون والباحثون والمعلمون اليهود الإسرائيليون - على الرغم من أنهم عمومًا أكثر أمانة فى كتاباتهم من معظم زملائهم فى الشتات - قد قاموا غالبًا بتجميل مجتمعات الماضى اليهودى وإلباسها ثوبًا رومانسيًا، كما قاموا بتجنب النقد. وهذا النوع من الكتابات التبريرية كان يمثل اتجاهًا جديدًا. فمنذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين والصهاينة الأوائل وآخرون ينتمون إلى الحركات اليهودية المعاصرة ينتقدون بشدة الكثير من جوانب تقاليدهم الثقافية الدينية ويحاولون تغيير أو حتى تدمير أجزاء من هذه التقاليد.

ومنذ أواخر الثمانينيات وبعض المؤرخين الأصغر عمرًا، ربما بسبب الاستقطاب المتزايد للمجتمع اليهودى الإسرائيلى، يقومون بكتابة ونشر بعض الأعمال النقدية التى خلخلت إلى حد ما الاتجاه الدفاعى السارى.

تحتاج المقارنة بين مخاوف ونظرة اليمين العلمانى إلى العالم، وتلك الخاصة بالحريديم إلى المزيد من الإيضاح، فالمفاهيم الحريدية فى رؤية العالم يمكن فهمها فقط كآثار للأزمنة القديمة. وقام مناحم فريدمان وهو

أحد المراقبين اليهود الغربيين بدراسة الحريديم فى كلٍّ من فلسطين تحت الانتداب ودولة إسرائيل، حيث قام بوصفه أستاذًا بجامعة بار إيلان الدينية بتقديم وصف ممتاز لمفاهيم الحريديم فى مقال بصحيفة «دافار» نشر فى ٤ نوفمبر ١٩٨٨م، وقام فريدمان بكتابة هذا المقال من أجل شرح أسباب الفشل الانتخابى الذى نتج عن المحاولة غير الناجحة التى قام بها بعض المرشحين على قائمة المتدينين فى عام ١٩٨٨م للدفاع عن القيام ببعض الاعتدال فيما يتعلق بالتعامل مع الفلسطينيين. وقام فريدمان بالتوضيح على النحو التالى: «**إن العالم الحريدى يدور حول اليهودية. وجوهر الفكر الحريدى يتمثل فى مقولة فصل اليهود عن الأغيار. وهذا هو السبب فى أن أى تحالف بين حمائم الحريديم وحمائم العمل مستحيل. فليس هناك فى الواقع شىء اسمه حمائم الحريديم. والناس الذين يتحدثون عن العالم الحريدى لا يعرفون عادة كيف يقرأون علاماته**».

فهم لا يفهمون هذا العالم ولا شخصياته البارزة. والمسافة بين حمائم الحريديم وصقورهم ليست كبيرة، فكلاهما يرى العلاقة بين غير اليهود واليهود كما كانت قبل إنشاء إسرائيل، **كما أنهم يفترضون أن غير اليهود واليهود على طرفى نقيض، فغير اليهود يريدون قتل وتدمير اليهود، والفروق الصحيحة التى توجد بين اليهود يجب أن تكون فقط بشأن كيفية الرد على هذه الرغبة غير اليهودية الموجودة دائمًا.**

والآن هناك زوج من ردود الأفعال الحريدية المتبادلة على هذا الافتراض المزعوم. فيقول الحاخام شاخ «الأب الروحى لإحدى

الجماعتين الحريديتين» : إنه بما أن غير اليهود يكرهوننا، فإننا نحتاج إلى التزام الهدوء والإحجام عن استفزازهم من خلال عدم تذكيرهم بوجودنا. أما الحاخام لوبوفتشر فيقول إننا يجب أن نكون أقوياء. وهاتان إجابتان تبادليتان، كلتاهما تنشأ عن مفهوم مشترك بأن هناك فجوة تفصل اليهود وغير اليهود. والحاخام شاخ ليس حمامة بنفس مفهوم شولاميت آلونى «الزعيمة السابقة لحزب ميرتس» فآلونى حمامة؛ لأنها تؤمن بأن الإنسانية يجب أن تؤكد على المساواة بين كل البشر ومقدرة كل البشر والأمم على التواصل. ويؤمن الحاخام شاخ بأن التواصل مع غير اليهود غير ممكن، وأنهم يمكنهم فقط أن ينسوا وجود اليهود. ويقول لوبوفتشر بأننا يجب أن نكون أقوياء من أجل الدفاع عن أنفسنا ضد غير اليهود الذين يريدون دائمًا أن يدمرونا. **فالفرق بين الزعيمين يمكن أن يعبر عنه من خلال مواقفهما تجاه اتفاقية السلام مع مصر. فالاثنان يتفقان على أنه ليس هناك سلام ولن يكون أبدًا؛ لأن المصريين يريدون القضاء علينا.**

ومع ذلك يضيف الحاخام شاخ قائلاً: إننا يجب أن نحاول الحد من «الضحايا اليهود» لأقصى درجة ممكنة من خلال التزام الهدوء. أما الحاخام لوبوفتشر فيقول: لأن السلام لا يتوافر على أى حال، فإننا يجب أن نرفض تقديم أى تنازلات. فالحمامة الحريدية لا تؤمن بأى نوع من أنواع السلام، وعلى ذلك فإن أى حديث عن ائتلاف محدود برئاسة العمل ويضم الحريديم لا أساس له.

أكدت التطورت السياسية اللاحقة فى إسرائيل بما فى ذلك انتخاب نتنياهو فى مايو ١٩٩٦م على صحة تحليل البروفيسور فريدمان. ومن

منظور حريدى، آخر قام الحاخام عوفيديا يوسف الأب الروحى لحزب شاس بتعزيز هذا المقال، فقال الحاخام يوسف فى مقال بتاريخ ١٨ سبتمبر ١٩٨٩م فى جريدة «ياتيد هانعمان» **بأنه بما أن إسرائيل ضعيفة جدًا لدرجة أنها لا تستطيع تدمير كل الكنائس المسيحية فى الأرض المقدسة، فإنها أيضًا أضعف من أن تحتفظ بكل الأراضى التى قامت بفتحها**. وباستخدام هذا المنطق يدافع الحاخام يوسف عن قيام إسرائيل بتقديم تنازلات متعلقة بالأرض من أجل تجنب حرب تضيع فيها أرواح اليهود. ولم يرد فى كلمات الحاخام يوسف أى ذكر للفلسطينيين ولا حتى أدنى حقوقهم، النظرة الحريدية للعالم تشبه نظرة اليمين الإسرائيلى العلمانى. ونظرة سياسيى الليكود للعالم التى يؤيدها أتباعه بحماس، هى تمامًا نظرة اليهود المتدينين، فرغم أنها شهدت بعض التحول العلمانى، إلا أنها احتفظت بقيمها الأساسية.

أدى التحالف بين الأحزاب الدينية والعلمانية لليمين إلى انتصار نتنياهو فى انتخابات ١٩٩٦م. وخرج هذا التحالف إلى النور على الرغم من الخلافين السياسيين العميقين بين الحزبين. الخلاف الأول يتصل بالديموقراطية، كما يظهر ذلك من خلال تركيب الأحزاب الإسرائيلية، أما الخلاف الثانى فيدور حول الصهيونية.

وكل الأحزاب السياسية الإسرائيلية فيما عدا الأحزاب الحريدية كانت ولا تزال، منشأة على غرار الأحزاب الموجودة فى الدول

الغربية، وخاصة الولايات المتحدة. ومعظم الأحزاب الإسرائيلية تقوم بإجراء انتخابات أولية من أجل اختيار مرشحيها فى انتخابات الكنيست، ومع ذلك فإن نظام الحزب الحريدى مختلف عن ذلك وقائم بذاته وربما يكون مناظرًا فقط لما يحدث فى إيران. فكل الأحزاب الحريدية لديها نظام ثنائى الأطر. الإطار الأقل أهمية ويشتمل على السياسيين النشطين الذين حتى لو كانوا وزراء أو أعضاء فى الكنيست، فإنهم يعترفون بتواضع على الملأ بأنهم مجرد خدم للمجالس الحاخامية للحزب التى يقومون باستشارتها قبل اتخاذ أى قرار. ولا يقبل أىٌّ من السياسيين الحريديم من حزب معين أى توجيه من المجالس الحاخامية لأى حزب حريدى آخر. ومداولات المجلس يتم الاحتفاظ بها سرًا، وقراراته غير قابلة للمراجعة باعتبارها وحيًا من السماء. وعندما يموت أحد أعضاء المجلس فإن خليفته يتم تعيينه بواسطة بقية الأعضاء.

كما أن أعضاء المجالس الحاخامية للأحزاب الحريدية يلقبون بواسطة أتباعهم بالحكماء، ويتخذون كل القرارات وينظرون بعين الشك إلى التركيب التقليدى للأحزاب باعتبارها شيئًا معاصرًا وبدعة، والنظام الحزبى السياسى المعاصر بما فى ذلك العضوية والفروع والانتخابات الداخلية وعناصر أخرى موجودة فى الحزب الدينى القومى، غائبة تمامًا عن الأحزاب الحريدية. والتنافر بين الأحزاب الحريدية الذى يصل أحيانًا إلى درجة البغضاء، ينبثق من اعتبار «الحكماء» ذوى سلطات مطلقة. وقد حافظ النظام الحزبى الحريدى على احتكار الذكور للحزب. وحتى اليوم

لم تطأ قدم أية أنثى عتبة السياسة الحريدية. كما أدى التعنت الحريدى إلى الوقوف عقبة فى وجه المزيد من تشدد «أو حريدية» - إذا جاز التعبير - قطاعات من المجتمع الإسرائيلى. وكان هناك نظام مشابه للنظام الحريدى شائعًا فى المجتمعات اليهودية من القرن الثانى للحقبة المشتركة(*) وحتى ضياع النظام اليهودى الكوميونى بسبب الدول القومية المعاصرة. وكان هدف الممارسات الحريدية، ولا يزال، يتمثل فى الحفاظ على أسلوب الحياة اليهودية كما كان قبل الأزمنة الحديثة. فالأحزاب الحريدية، فى محاولتها للحفاظ على النظام اليهودى القديم، كان عليها أن تقف فى وجه تيار المعاصرة الذى جرف الحزب الدينى القومى. ورد الفعل الحريدى يتخفى دائمًا فى الرغبة الرومانسية للعودة إلى الماضى الذى يقال دائمًا بأنه أجمل وأكثر أمانًا لليهود من الحياة المعاصرة بشكوكها وريبها.

ويكافح المجتمع الحريدى المشرب بأفكاره الخاصة؛ لكى يقمع كل شكوك أعضائه ولكى يؤمن بتحقيق السعادة.

إن الخلاف بين الحريديم ومعظم اليهود الإسرائيليين الآخرين حول الصهيونية هو خلاف معقد. فيتفق الحريديم والصهاينة حول القاعدة الصهيونية المهمة التى تقول بأن معاداة السامية تمثل اتجاهًا أبديًا لدى غير اليهود بلا استثناء، وأنه يختلف عن ظاهرة الخوف من الأجانب أو بغض الأقليات. وهذا المنظور يشبه بالطبع ما يعتقده المعادون للسامية بالنسبة لليهود. فهذا التشابه يفسر غالبًا الاتصال السياسى بين بعض الصهاينة،

(*) يقصد ميلاد المسيح عليه السلام.

بدءاً من هرتزل، والمعادين «المعتدلين» للسامية الذين كانوا يرغبون فقط فى طرد التجمعات اليهودية من مجتمعاتهم أو الحد من أعدادها دون قتل اليهود. ووجهات النظر المتعلقة بمعاداة السامية والمخاوف التى تدور حولها والتى يشترك فيها اليمين العلمانى والحريديم تتفق مع هذه القاعدة المركزية للصهيونية على نحو أفضل من ذلك الخاص بوجهات النظر التى يعتنقها حزب العمل اليسارى وأحزاب ميرتس التى تتهم دائمًا من قبل الليكود بأنها غير صهيونية بما يكفى.

ومع ذلك فإن الأيديولوچية الحريدية تتصادم مع الصهيونية حين يتعلق الأمر بمبادئ معينة. وهناك مثالان رئيسيان لذلك يتمثلان فى الأهداف الصهيونية لتجميع كل اليهود، أو أكبر عدد منهم فى فلسطين وتكوين دولة يهودية. وهذه الأهداف أو العقائد تتناقض مع التفسيرات الحريدية للتلمود والتعاليم التلمودية.

وبسبب هذا التناقض المحسوس، أعلن الحريديم - وما زالوا - معارضتهم القوية للصهيونية، حيث يزعمون أن دولة إسرائيل إنما هى مجرد شتات آخر لليهود ويتجنبون استخدام الرموز الصهيونية. فكل حزب سياسى إسرائيلى يبدأ أو يختتم اجتماعاته بإنشاد النشيد القومى الإسرائيلى «الهاتيكفاه» والذى هو فى نفس الوقت نشيد الحركة الصهيونية العالمية، أما الأحزاب والمنظمات الحريدية فإنها لا تفعل ذلك، ولكنها تتلو الصلوات اليهودية. وتقوم وسائل الإعلام غالبًا بإدانة

الحريديم لعدم إنشاد «الهاتيكڤاه» فى المناسبات الرسمية. وفى كل المؤتمرات الصهيونية الدولية التى عقدت فى إسرائيل يتم رفع العلم الإسرائيلى فقط. أما فى المؤتمرات الحريدية التى تعقد فى إسرائيل فإنه يتم رفع أعلام جميع الدول التى جاءت منها الوفود حسب الحروف الأبجدية.

والمعارضة الحريدية للصهيونية تقوم على التناقض بين اليهودية الكلاسيكية «أو التقليدية» التى تعتبر الحريديم امتدادًا لها،والصهيونية. وقد قام العديد من المؤرخين الصهاينة لسوء الحظ بالتعتيم على هذه القضايا. ولذلك يكون من الضرورى القيام ببعض الشرح التفصيلى. ففى فقرة تلمودية شهيرة فى الجزء المسمى «كيتوبوت» ص ١١١ والتى تتردد فى أجزاء أخرى من التلمود، يقول الله إنه: فرض على اليهود ثلاثة مواثيق. اثنان منها يتعارضان بوضوح مع المعتقدات الصهيونية وهما: ١ ـ يجب على اليهود ألا يتمردوا على غير اليهود، ٢ ـ يجب ألا يقوم اليهود بالهجرة الجماعية إلى فلسطين قبل مجىء المسيح. والميثاق الثالث والذى لن نناقشه هنا يفرض على اليهود عدم الإلحاح فى الصلاة طلبًا لقدوم المسيح، حتى لا يأتى قبل موعده المحدد.

وخلال التاريخ اللاحق على التلمود، قام الحاخامات بالمناقشة الموسعة للمواثيق الثلاثة. وكان أحد الجوانب الجوهرية لهذه المناقشة هو السؤال القائل ما إذا كانت الهجرة الجزئية إلى فلسطين تعتبر نوعًا من الهجرة الجماعية المحرمة أم لا. **وأثناء الألف والخمسمائة عام الماضية،**

قامت الغالبية العظمى من أهم حاخامات اليهودية التقليدية بتفسير المواثيق الثلاثة، وواصلت اعتبار وجود اليهود فى المنفى التزامًا دينيًا للتكفير عن الآثام اليهودية التى جعلت الله يقوم بنفيهم.

وفى الأعوام الحديثة قام عدد من الباحثين اليهود الإسرائيليين، الذين أنشأوا تأريخًا يهوديًا جديدًا يتسم بمقدار أكبر من الصدق، بإلقاء الضوء على جوهر التفسيرات الحاخامية للمواثيق الثلاثة. ففى كتابه البحثى القيم المسمى «المسيانية والصهيونية والتطرف الدينى اليهودى» الذى نشر بالعبرية فى إسرائيل عام ١٩٩٣م، قدم أفيتزير رافيتسكى، تلخيصًا جيدًا للتفسيرات الحاخامية للمواثيق الثلاثة بدءًا من القرن الخامس الميلادى «أو الحقبة المشتركة». وفى تحليله قام رافيتسكى بالإشارة إلى أنه فى القرن التاسع قام الحاخام صموئيل ابن هوشانا، وهو أحد زعماء يهود فلسطين المهمين بالاستشهاد بما يلى فى إحدى صلواته باعتبارها كلمات الله: **«لقد أخذت العهد على شعبى بألا يثوروا على المسيحيين والمسلمين، وطلبت منهم أن يلتزموا الصمت حتى أنزل بهم (المسيحيين والمسلمين) عقابى كما فعلت فى سدوم».**

وفى القرن الثالث عشر أثناء الفترة التى هاجر فيها بعض الحاخامات والشعراء إلى فلسطين لأسباب دينية كما يقول رافيتسكى، قام حاخامات آخرون فى بقاع عديدة من العالم بالاستشهاد بنظرية المواثيق الثلاثة للتحذير من انتشار هذه الظاهرة الخطرة. وقام الحاخام إليعازر ابن موشيه الزعيم الروحى للتجمع اليهودى فى فوتسبرج بألمانيا فى القرن

الثالث عشر بتحذير اليهود الذى يهاجرون بكثافة إلى فلسطين من أن الله سوف يعاقبهم بالموت. **وفى نفس الوقت تقريبًا قام الحاخام عيزرا بمدينة جيرونا بإسپانيا وهو أحد متصوفة القبالاه المشاهير بكتابة « اليهودى الذى يهاجر إلى فلسطين إنما يهجر الله الذى يوجد فقط فى الشتات، حيث يعيش أغلب اليهود وليس فى فلسطين»**. كما أكد رافيتسكى فى كتابه على أن هناك آراء مماثلة وحتى أكثر تطرفًا استمرت حتى القرن التاسع عشر. وقد كتب الحاخام الألمانى الشهير يوناثان أيبشوتز فى منتصف القرن الثامن عشر أن الهجرة المكثفة إلى فلسطين حتى مع موافقة كل دول العالم هى أمر محظور قبل مجىء المسيح. وفى أوائل القرن التاسع عشر قام موسى مندلسون ومؤيدون آخرون للتنوير اليهودى، وكذلك معارضوهم مثل الحاخام رفائيل هيرش الأب الروحى للأرثوذكسية المعاصرة فى ألمانيا، بالاتفاق على والاستمرار فى تحريم الهجرة بناء على المواثيق الثلاثة. **وكتب هيرش فى عام ١٨٣٧م يقول: إن الله أمر اليهود «بألا يقوموا أبدًا بإنشاء دولتهم بأنفسهم ومن خلال جهودهم»**.

وكان الحاخامات فى وسط أوروپا أكثر تطرفًا. وفى عام ١٨٣٧م فى نفس العام الذى حظر فيه هيرش على اليهود إعلان دولة يهودية، حدث زلزال فى شمال فلسطين قتل الغالبية العظمى من سكان مدينة «صفد» والذين كان الكثير منهم من اليهود، وكانوا قد هاجروا حديثًا إلى فلسطين. **وقد أرجع الحاخام موشيه تيتلباوم وهو حاخام پولندي شهير**

هذا الزلزال إلى عدم رضاء الله عن الهجرة اليهودية الزائدة إلى فلسطين وقال تيتلباوم: «ليست مشيئة الله أن نذهب إلى أرض إسرائيل عن طريق جهودنا ومشيئتنا».

أما الحاخام موشيه نخمانيدس الذى توفى عام ١٢٧٠م فقد كان الزعيم اليهودى الوحيد الذى كان يؤمن بأن اليهود يجب عليهم ليس فقط الهجرة ولكن أيضًا أن يقوموا بغزو أرض إسرائيل، وهناك حاخامات آخرون ذوو أهمية فى ذاك الوقت وفى أوقات أخرى لمدة قرون عديدة تجاهلوا أو اختلفوا بقوة مع رأى نخمانيدس.

وفى سبعينيات القرن العشرين بعد سبعة قرون من وفاته، أصبح نخمانيدس القديس الراعى للحزب الدينى القومى ولمستوطنى جوش أمونيم. كما زعم أيضًا حاخامات الحزب الدينى القومى أن المواثيق الثلاثة لا تنطبق على الأزمنة المسيانية، وأنه على الرغم من أن المسيح لم يأت بعد فإن هناك عملية كونية تسمى بداية الخلاص قد بدأت. وأثناء هذه الفترة يجب تجاهل بعض التعاليم الدينية السابقة. وهناك تعاليم أخرى يجب تغييرها. وعلى ذلك فإن النزاع بين الحزب الدينى القومى والحريديم قد تمحور حول قضية ما إذا كان يجب على اليهود أن يعيشوا فى الزمن العادى أم فى زمن بداية الخلاص. فبعد أن حصلوا على بعض المكاسب السياسية وأصبحوا أكثر ثقة بأنفسهم إبان انتخابات ١٩٨٨م شدد الحريديم من معارضتهم المبدئية للصهيونية وللحزب الدينى القومى. وفى عام ١٩٨٩م قام أهم حاخامين حريديين وهما الحاخام

شاخ والحاخام يوسف بعقد مؤتمر ضد الصهيونية فى بناى براك بإسرائيل، وتم نشر الخطب التى ألقياها والتى كانت مخصصة للتعبير عن معارضتهما المبدئية للصهيونية وعقيدة بداية الخلاص، فى الجريدة الحريدية «ياتيد هانعمان» فى ١٨ سبتمبر ١٩٨٩م. كما قام الحاخامان من منظور «الهالاخاه» أيضًا بمعالجة الموضوع السياسى الإسرائيلى الحيوى المتعلق بما إذا كان يجب إعطاء بعض أراضى إسرائيل - على حد زعمهم - لغير اليهود أى الفلسطينيين. كما قاما أيضًا بتفنيد وجهة نظر الحزب الدينى القومى وجوش أمونيم التى تقول بأنه مع بداية الخلاص لا يجب إعطاء أرض إسرائيل لغير اليهود، وأعلن الحاخامان يوسف وشاخ أن اليهود لا يزالون يعيشون فى الأزمنة العادية، حيث المساعدة المرئية من الله لإنقاذ حياة اليهود غير متوقعة دائمًا.

كما قام الحاخام يوسف الشهير بمعرفته الواسعة للهالاخاه، بتقديم تحليل متعمق وأشار على نحو صحيح إلى أن الحاخام شاخ يتفق معه تمامًا.

واستهل الحاخام يوسف حديثه بالاختلاف مع الحزب الدينى القومى وحاخامات جوش أمونيم الذين يقولون بأن بداية الخلاص وأوامر الله بغزو أرض إسرائيل هى أكثر أهمية من إنقاذ حياة اليهود الذين قد يسقطون فى غمار حرب التحرير. واعترف الحاخام يوسف بأنه فى الأزمنة المسيانية سوف يكون اليهود أكثر قوة من غير اليهود ويكون لزامًا

عليهم فتح أرض إسرائيل وطرد غير اليهود وتدمير الكنائس المسيحية الوثنية، ومع ذلك أكد الحاخام يوسف أن زمن الخلاص المسيحى ـ أى مجىء المسيح طبقًا للعقيدة اليهودية ـ لم يأت بعد.

وكتب يقول:

«إن اليهود ليسوا فى الواقع أكثر قوة من غير اليهود، كما أنهم غير قادرين على طرد غير اليهود من أرض إسرائيل؛ لأن اليهود يخشون غير اليهود، وعلى ذلك فإن أمر الله لم يحن بعد.. **فحتى غير اليهود من الوثنيين يعيشون بيننا دون أن نستطيع طردهم أو حتى نقلهم. فالحكومة الإسرائيلية ملزمة تبعًا للقانون الدولى بحماية الكنائس المسيحية فى أرض إسرائيل، حتى على الرغم من أن هذه الكنائس هى أماكن وثنية وتعبد فيها الأوثان، يحدث هذا على الرغم من أن ديننا يأمرنا بتحطيم الأوثان وخدمها حتى نجتث جذورها من كل بقاع الأرض وأى مكان نستطيع الوصول إليه**.. ومن المؤكد أن ذلك يؤدى إلى إضعاف المغزى الدينى لفتوحات جيش إسرائيل «فى ١٩٦٧م».

إن الفقرة التى استشهدنا بها آنفا تمثل على نحو معبر جانبًا من السياسة الواقعية لإسرائيل. فقبل انتخابات ١٩٩٦م اعتبر كلٌّ من بيريز ونتنياهو الحاخام يوسف شخصية سياسية مهمة، وتوددا إليه على نحو غير خفى. **وتم ذلك على الرغم من إعلان يوسف أن اليهود حينما يكونون أقوياء بما فيه الكفاية فإنهم ملزمون دينيّا بطرد غير اليهود من البلد وتدمير كل**

الكنائس المسيحية، وقد قام اليساريون وأنصار السلام فى إسرائيل بالثناء على يوسف وشاخ بموافقتهما على الانسحاب من الأراضى المحتلة، ولكنهم أغفلوا ذكر المعتقد الجوهرى ليوسف وشاخ. كما أغفلت معظم وسائل الإعلام الغربية الإشارة إلى معظم النقاط الجوهرية فى خطاب يوسف، والحقيقة هنا هى أن رأى يوسف ـ شاخ يمثل أحد جوانب عقيدة الصقور فى السياسة الإسرائيلية.

كما اعترف الحاخام يوسف فى خطابه أيضًا بتحريم الهالاخاه بيع العقارات لغير اليهود فى أرض إسرائيل، ولكنه قصر ذلك على الزمن الذى يكون فيه فعل ذلك لا يعرض حياة اليهود للخطر. وبنفس الطريقة تعامل مع موضوع ما إذا كان يجب على اليهود أن يضعوا ثقتهم فقط فى معونة الله أم يجب عليهم اتخاذ احتياطاتهم الخاصة ضد الخطر أو الحرب. وأفاد يوسف بأن هذا الموضوع مناظر للسؤال الخاص بما إذا كان يجب إعطاء الطعام لليهودى المريض فى يوم كيبور «عيد الغفران» لإنقاذ حياته أم لا. ففى الحالة الأخيرة، كما يقول الحاخام يوسف يجب إعطاء الطعام لليهودى المريض حتى إذا اختلف الأطباء مع بعضهم البعض حول مدى خطورة الصيام على حياته. وتبعًا لهذا المنطق أشار الحاخام يوسف إلى أنه حتى لو كان الخبراء العسكريون يختلفون مع بعضهم البعض حول ما إذا كان الانسحاب من بعض الأراضى يمكن أن يمنع الحرب، فإن الحكومة يجب أن تأمر بالانسحاب. وأشار الحاخام يوسف دون تأثر بذريعة الثقة فى الله إلى أن اليهود قد قتلوا فى حروب سابقة وأن معجزة

مجيء المسيح وحكمه للعالم سوف تحدث دون إراقة دم يهودى واحد. كما أشار الحاخام يوسف أيضًا إلى أن دولة إسرائيل مليئة باليهود الآثمين الذين يغضبون الله. كما استشهد بالعديد من أقوال الحاخامات الذين يتفقون معهم فى أن المواثيق الثلاثة لا تزال سارية.

إن وجهة نظر الحاخام يوسف لم تثر اهتمام رابين ولا بيريز ولا نتنياهو. فعملية استعراض علمه الواسع التى استغرقت ثلاث صفحات كبيرة لم تقنع حاخامًا واحدًا من الحزب الدينى القومى. واستمر الحاخامان يوسف وشاخ، اللذان أصبحا بعد وقت قليل من ألد الأعداء فى معارضة الصهيونية ومذهب بداية الخلاص، كما واصلا الدفاع عن منظورهما الخاص للأصولية اليهودية وإصدار الأوامر لأعضاء الكنيست الأربعة عشر التابعين لهما فى عام ١٩٩٦م بالولاء لأفكارهما.

وقد قام الحاخام شاخ - الأكثر تطرفًا فى معارضته للصهيونية من الحاخام يوسف - بمنع أعضاء الكنيست المنتمين لحزبه السياسى، ياهدوت هاتوراه، من أن يصبحوا وزراء فى حكومة نتنياهو الصهيونية. ومع ذلك أمر شاخ أعضاء الكنيست المنتمين لحزبه بتأييد حكومة نتنياهو، وكافأ نتنياهو ياهدوت هاتوراه من خلال إعطائه زمام السيطرة على وزارة الإسكان، فتولى نتنياهو وزارة الإسكان بنفسه وقام بالتوقيع على أى شىء يرسله له نائبه رافيتس المنتمى لحزب ياهدوت هاتوراه. وتم القيام بهذا الإجراء من أجل تجنب الانضمام الرسمى لحزب ياهدوت هاتوراه إلى حكومة صهيونية، وفى نفس الوقت جنى ثمارها، وعلى النقيض من

الحاخام شاخ، أمر الحاخام يوسف أتباعه من أعضاء الكنيست بأن يصبحوا وزراء فى حكومة نتنياهو. وهذه الحقائق تعبر عن الأهمية السياسية لآراء الحاخامين يوسف وشاخ.

إن قيام الحاخام يوسف بالتعبير عن رأيه بوضوح فى موضوع الأراضى لا يعكس فقط وجهة النظر الحريدية، ولكنه أيضًا يعبر عن جانب كبير من السياسة الخارجية الفعلية لدولة إسرائيل. كما أعلن الحاخام يوسف عن أن اليهود لديهم واجب دينى يتمثل فى طرد جميع المسيحيين من دولة إسرائيل، فقط إذا كان ذلك لا يعرض حياة اليهود للخطر. كما افترض الحاخام يوسف أن أى تنازلات يهودية تقدم لغير اليهود فى دولة إسرائيل يجب أن تقوم فقط على اعتبار أن رفض القيام بذلك يمكن أن يعرض اليهود للخطر.

كما يفضل الحاخام يوسف - بالتأكيد - الاحتلال الدائم لكل أراضى فلسطين، إذ اقتنع تمامًا بأن ذلك لن يدفع العرب لإيذاء اليهود. كما آمن الزعماء الحكوميون الإسرائيليون مع تأييد كامل من اليهود الإسرائيليين بعد حرب يونيو ١٩٦٧م، بأن العرب غير قادرين على إيذاء إسرائيل ولذلك فإنهم يرفضون تقديم أية تنازلات. **فقط بعد المعاناة المريرة من الخسائر الجسيمة فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م والخوف من حرب أخرى وافقت حكومة دولة إسرائيل، مرة أخرى مع التأييد الكامل من اليهود الإسرائيليين على إعادة سيناء إلى مصر. وفى عام ١٩٨٣م حتى بعد مذابح صبرا وشاتيلا، فكّر القادة الإسرائيليون فى الاحتلال الدائم لثلث**

لبنان والهيمنة على الثلثين المتبقيين. وقام شارون بإبرام اتفاقية سلام تقوم على هذين الشرطين مع الحكومة اللبنانية التى لا حول لها ولا قوة. ودفعت حرب العصابات التى قام بشنها اللبنانيون فى ١٩٨٤ و ١٩٨٥ ، وأدت إلى سقوط العديد من الضحايا الإسرائيليين، دفعت القادة الإسرائيليين إلى التخلى عن هذا المخطط والانسحاب. فالسياسة الخارجية الإسرائيلية، على الرغم من صياغتها وممارستها بواسطة يهود علمانيين تبدو حتى اليوم مشتقة فى جانب منها من الماضى الدينى اليهودى. والواقع أن الحركة الصهيونية أيضًا التى شهدت تحولاً علمانيًا جزئيًا، حافظت أيضًا على الكثير من المبادئ الدينية اليهودية الأساسية. فالحاخام يوسف وبن جوريون وشارون، وكل السياسيين الإسرائيليين الكبار، يقفون على أرضية مشتركة فى الدفاع عن السياسة التى ينتهجونها.

***